اجتهادات
هل يُقصى المُختلف؟

ما كل هذا الهجاء الذى انهال على الكاتب الفرنسى إيريك زيمور فور إعلانه رسميًا الترشح فى الانتخابات الرئاسية التى ستُجرى فى أبريل القادم؟ الهجوم عليه قاسم مشترك بين عدة اتجاهات0

ولكل من يُهاجمه، ويُشفق على فرنسا حال أصبح رئيسًا، سبب مُقنع. وهو، من جانبه، لا يُحاول تغيير صورته المُخيفة لفئات عدة، بل على العكس يُكَّرسها. قدم نفسه بوصفه مُنقذ فرنسا: «فات وقت الإصلاح، وجاء زمن الإنقاذ». يريد إنقاذ فرنسا ممن يُسميهم «برابرة العصر الحاضر» مثلما أنقذها ديجول من «البرابرة النازيين»، علمًا بأن غير قليل ممن يُهاجمونه يرون أنه لا يقل خطرًا عن النازية. ولعل أغرب ما فى بيان ترشحه هو هذا الجسر الذى يحاول تشييده ليربطه وديجول. استخدم فى إعلانه الترشح ميكروفون قديمًا، ومكتبة فى الخلفية، وكلاما عن الإنقاذ, مثلما فعل ديجول 1958.

ويهدف الهجوم الشديد عليه إلى إضعاف فرصته فى جمع 500 توقيع من أعضاء فى مجلسى النواب والشيوخ والمجالس المحلية حسب القانون الفرنسى، الأمر الذى يُثير مجددًا عن التسامح الذى يُعد إحدى الركائز المحورية للديمقراطية. وليس المفكر العميق الأغوار كارل بوبر وحده من سعى إلى إثبات أن الديمقراطية لا توجد إلا حين يسود التسامح. ولكنه أكثر من عُنى بهذا المبدأ منذ نشأته فى القرن السابع عشر. فالتسامح عنده هو الأساس الأول للديمقراطية التى لا يمكن تصورها إلا حين يوجد

التسامح على أوسع نطاق فى المجتمع: «فكلنا قابلون لأن نخطئ. وليس غير التسامح مانعًا من الوقوع فى أسر الاعتقاد بأننا على صواب دائمًا. ولا توجد ديمقراطية إلا حين تتوافر عناصر التسامح، وأهمها: إننى قد أكون مخطئًا، وقد تكون أنت على صواب. وأننا حين نتحاور بشكل عقلانى قد نصل إلى تصحيح أخطائنا. وهذا ما يُساعدنا فى الاقتراب معًا من الحقيقة التى لا يملكها أحد».

وإذا كان هناك من يؤمن بالتسامح على هذا النحو، فوجد أيضًا من لا يستطيع تحمل الاختلاف، ومن يسعى إلى إقصاء المُختلف. ولهذا تظل الديمقراطية قابلة للتعثر مهما يبدأنها اكتملت فى بلد أو آخر.